خلع عبد الحميد

وصف يلدز وكيفية الخلع

زحف المكدونيين على الاستانة والكراهة لعبد الحميد راسخة في نفوسهم ولا غرابة في ذلك بعد ان ساس البلاد ثلثاً وثلاثين سنة سياسة مصبوغة بالدم . ويقال انهم لما بلغوا الحصون التي على طرف البسفور من جهة البحر الاسود واستولوا عليها كان الحرّ شديداً وقد اخذ العطش منهم كلّ مأخذ فأُتي بهم الى ينبوع ماء وقيل لهم اشربوا باسم الله من الينبوع الحميدي . فلما سمعوا ان الينبوع مسمّى باسم عبد الحميد اجفلوا ولم يشربوا

قال الكاتب ورأيت الالبانيين يسوقون الخوجات الى السجن سوقاً كأنهم من قطاع الطرق . وظل هذا شأنهم اياماً بعد ان اخذوا الاستانة وكان بعض هؤلاء الخوجات لابساً الجبب الخضراء ومعمَّماً بالعمائم الخضراء ولكن لباسهم لم يغنِ عنهم شيئاً بل كانوا يساقون الى السجون سوق الانعام . وبسط واحد منهم ذراعيه بالدعاء فقاطعهُ ضابط من الضباط قائلاً ابقِ دعاءك لنفسك فانت احوج اليه مني . وقد وجد مع هؤلاء العلماء او الخوجات ما يساوي ١٢٣٠٠ جنيه من الذهب العين والاوراق المالية قيل انها وزعت عليهم من يلدز

ولما كان نيازي بك آتياً الى الاستانة بلغهُ ان بعض هؤلاء العلماء يحرّض الناس على الجنود المكدونية فنزل من القطر ودخل الجامع وصعد على المنبر وقال بلغني ان البعض يحرضونكم علينا قصد الشغب . والوقت الآن لا يسعني لابحث عنهم واعلم من هم ولكني سامر بكم في عودتي من الاستانة واذا وجدت ان اولئك الرجال لا يزالون يلقون الشغب فاني اشنقهم كلهم في اشجار الشوارع

ولما اطبقت الجنود المكدونية على الاستانة في ٢٤ ابريل خرجت حامية يلدز لمقاومتها ولكنها رأت ١٥٠٠ من [illegible] بطاريات على مرتفع شمالي فارتدت على اعقابها

وشاع حينئذٍ ان المكدونيين قطعوا الماء والغاز عن يلدز لكن شوكت باشا اكّد لي ان هذه الاشاعة خالية من الصحة ولا شبهة في ان القلق ساد على الدين في سراي يلدز حينئذٍ فقد رأيت الجنود والخدم يفرُّون منها مذعورين في الرابع والعشرين من ابريل فلا يبعد ان يكون نظام الخدم اختلَّ حينئذٍ فانقطعت الكهربائية . وكان عبد الحميد لا يطيق الظلمة ولا يحتمل ان يرى مصباحاً مطفأً فاثر فيهِ انقطاعها تأثيراً شديداً وامر رجال الموسيقى ان لا ينفكوا عن العزف الليل كلهُ لكي يستأنس بصوتهم

وكان في يلدز جمهور كبير من الخدم والحشم والاعوان عدا من فيها من الجنود · فالحرس الخاص والياوران ٣٥ والنساء والجواري ٣٧٠ واولاد السلطان وخدمهم ١٦٠ والخصيان ١٢٧ وخدم المطبخ ٣٩ وخدم الاسطبل ٣٥٠ والحجّاب وغيرهم من الخدم ٢٥٠ وحرس السراي ١٤٥٠ فلما انطفأت الانوار الكهربائية البيت ساء اضطرّ هؤلاء كلهم ان يتمشوا في الظلام منتشين عن شيء يأكلونهُ وهم بلا قائد ولا رئيس ولا من يشدد عزائمهم ويبث الثقة في نفوسهم فكانوا على الضد من رجال شوكت باشا من هذا القبيل · واخفق عبد الحميد عن الانظار فقال رجالهُ انهُ مات او سمّ او أُغمي عليهِ · وجعل الجنود والحرس يغادرون السراي واحداً بعد الآخر ويلغ القلق اشدهُ في دار الحريم لان الخصيان جاءوهنّ باخبار السوء مكبّرة فاعتقدن ان لا بدّ من هجوم العساكر عليهنّ فاغمي على البعض منهنّ

لقد كان عبد الحميد من اقدر السلاطين والاّ ما استطاع ان يدير مملكة كبيرة من سرايهِ ويلقي هيبتهُ في نفوس كل رعيتهِ فلما وقف الآن مكتوف اليدين شعر الذين حولهُ كأنهُ الشمس اعتراها الكسوف فخيّم عليهم الظلام وكيف لا يشعرون كذلك وقد اعتادوا ان يلقبوهُ بملك الملوك وسلطان السلاطين ظل الله الظليل على الارض ومالك البرين والبحرين

قال نادر آغا ايقظني احد الخدم صباح السبت فنهضت وسمعت اطلاق البارود وكان السلطان لا يزال نائماً فايقظوهُ فنهض وقال ما الخبر فاخبروهُ فلم يبدُ عليهِ شيء من الاضطراب ثم اغتسل ودخل دار الحريم · ورأينا ان لا بدّ لنا من ان نرسل واحداً يخبر شوكت باشا ان حامية يلدز لا تريد المقاومة فلم يجسر احد ان يذهب في هذه المهمة واخيراً تقدّم محمد علي بك ياور السلطان وقال انا اذهب · فرضع عمّا البيض وخرج ثم عاد بجواب ارضى السلطان قاطبةً بانهُ وبقي على اطمئنانهِ الى يوم الاثنين وفي صباحهِ جعلت الجنود المكدونية تحتل السراي

وقال الاميرال بكتاش باشا انهُ دخل يلدز يوم الاحد ورأى السلطان يدير اشغالهُ على جاري عادتهِ كأنهُ لم يحدث شيء في الاستانة لانهُ لافرق عندهُ بين ان تكون حامية يلدز من الفيلق الاول او الثالث

وقال نادر آغا ان طاهر باشا وخليل بك اقنعا السلطان ليدعهما يوزعان الاسلحة على الخدم كلهم ولكن الاغوات كانوا يعلمون انهُ اذا اطلقت بندقية واحدة قضي عليهم كلهم فاقنعوا السلطان لكي يمنع طاهر باشا من اطلاق النار فمنعهُ وجُمعت الاسلحة بعد ان وزعت على الخدم · وكان السلطان مقتنعاً ان الجنود المكدونية لا تزيد على ثلاث ارط وذلك لان

ادهم باشا كان قد ارسل الى شوكت باشا البيعث بالجنود الى اطنه فبعث شوكت باشا تلغرافاً اليه يقول فيه بعثت ثلاث ارط. ووصل هذا التلغراف اليه وهو في حضرة السلطان فتناوله السلطان وقرأه فاعتقد ان هذه هي الارط التي أتت الاستانة . قال نادر آغا ولو عرف عبد الحميد حقيقة الحال لحرب الاستانة قبل سقوطه . ولم يدرك حقيقة الخطب حتى يوم الجمعة بعد ما استولت الجنود المكدونية على ثكنات داود باشا . ولما دخل الجنود يلدز طلبوا الميرة (الجبخانة) فحاول ادهم باشا تسكينهم وصرفهم فارغين لكنهم كانوا يعلمون اين مخازن الميرة فكسروا ابواب مخازنها واخذوا منها ما يريدون

وعقد المؤلف هنا فصلاً طويلاً لوصف سراي يلدز يظهر منهُ انها خالية من كل اتقان فني ولا شيء فيها مما يحملها تُعدُّ بين قصور الملوك العظام قال ما خلاصتهُ

ان أكثر القراء شاهدوا مدخل يلدز او صورهُ الفوتوغرافية فوق جامع الحميدية . ويحتمل ان بعضهم شاهد المكان الذي كان السقراء واتباعهم يرقبون السلطان منهُ وقت صلاة الجمعة والسلاملك الذي كان يقابل فيه خواص زواره بعد الصلاة ويرقب منهُ استعراض الجنود . هذا هو المابين الكبير وفيه غرف للاستقبال ومكاتب لكثيرين من الموظفين وامامهُ داخل سور السراي المابين الصغير وهو بناء كبير غرفهُ كثيرة مزدانة بالتحف اليابانية لعلها هدايا من امبراطور اليابان وفيها خرائط كبيرة متقنة تمثل البلاد العثمانية اظنها هدايا من بعض صنّاع الخرائط الالمانيين . وفي هذا البناء باب سري يوصل الى دار الحريم وهي بناء كبير ايضاً امامهُ على ثلاثين قدماً منهُ بناء صغير هو المابين الصغير حيث يقيم السلطان عادة وبين دار الحريم حديقة صغيرة فيها ازهار جميلة . وعلى جانبي الطريق من المدخل العمومي الى المابين الصغير غرف للحرس والخدم تنتهي بسور عالٍ فيه قنطرة كبيرة قبيحة المنظر

وبعد المابين الصغير الكشك الذي نزل فيه امبراطور المانيا لما زار الاستانة وهو بناء من الخشب قبيح المنظر وفي الروض الخارجي كشوك اخرى مثلهُ وكلها خالية من المتدام المتقن . وفيه ايضاً بحيرة ومسرح للظباء وحدائق مختلفة واقفاص لحفظ الحيوانات ولا ترتيب فيها ولا نظام

والمابين الصغير حيث يقيم السلطان (كجك مابين) طبقتان وهو من الخشب وفيه نحو ١٢ غرفة ومصاديب كثيرة ضيقة من غير هندسة او بهندسة معكوسة قصداً ولا شباك في محله ولا باب في محله حتى اذا هجم على السلطان مغتال لا يهتدي اليه . فهو ادل دليل عليه وعلى اخلاقه حتى لقد صدق من وصف سراي يلدز بانها لغز لا قصر . وما من احد رآها

الأ وقال ان بانيها كان موقنًا بان اعداءهُ يتربصون لقتله فبذل جهدهُ لكي يضللهم حتى لا يهتدوا اليهِ ولذلك كان يغير ويبدل دواماً في نظام البناء الداخلي فيسد ابوابًا ويفتح ابوابًا ويسد كوى ويفتح غيرها ويضيق الماشي ويقسم الغرف ووضع للابواب اغلاقًا من الحديد متينة جدًّا تقفل من الداخل حتى يتعذر فتحها . وكفى نفسهُ مؤونة المشي في الممر الارضي من المابين الى دار الحريم بان وصل بينهما بجسر علوي وكذلك بين المابين ودار التمثيل

وكانت غرفة الاستقبال الكبرى في المابين الصغير داخل الباب المتجه الى دار الحريم وهي الغرفة التي قابل فيها الوفد الذي اخبرهُ بخلعهِ كما سيجيء . وامام هذه الغرفة غرفة صغيرة فاكرة واحدة نحو دار الحريم رأيت في وسطها مائدة عليها قنينة فيها دواء وقد كتب عليهِ « يؤخذ منهُ كوبة حينًا بعد حين » وبعد هذه الغرفة سردابٌ ضيق يوصل منهُ الى الغرفة التي اتفق ان عبد الحميد كان نائمًا فيها آخر ليلة نامها في يلدز وهي صغيرة جدًّا فيها كوة واحدة تطل على حديقة الحريم ومقعد من القطيفة . ولما دخلتها كان عليهِ لحاف تركي موضوع من غير انتظام وست مساند بين الحرير والى جانب السرير مائدة صغيرة جدًّا ليوضع عليها فنجان القهوة او المسدس وهو الارجح وفي الغرفة دخلة فيها مغسلة

وهناك مكتبة عبد الحميد ولما زرتها بعد خروجهِ منها باشهر لم اجد فيها الأ قليلاً من آثار اوراقهِ وتقاريرهِ . وقوائم الكرسي الذي يجلس عليهِ والمائدة التي امامهُ مفصولة فصلاً كهربائيًّا لانهُ كان يخاف من الصواعق . وعلى المائدة اعداد من جريدة مرسيلي وتقرير قديم من السفارة العثمانية في لندن عن الغيظ الذي شمل الانكليز من المذابح الارمنية

وكان عبد الحميد مغرمًا بالنجارة وتطعيم الخشب بالخشاب مختلفة الالوان وباللؤلؤ ايضًا وعملهُ في النجارة اصلح من عملهِ في التطعيم . وفي المابين الصغير غرفة صغيرة فيها كل آلات النجارة والى جانبها حمام يقال انهُ كان يغتسل فيهِ بالبن الحليب ثم يدّهن قبل المقابلات وهو غرفة واسعة جدرانها مغطاة بالخزف الابيض المدهون وفيها رفوف مملوءة بمقويات الجسم ومحسنات البشرة وصبغات الشعر ومعيدات الشباب وهناك زجاجة عطر كشفت فيها ١٥ ابريل

وفي احدى الغرف في الطبقة العليا خزانة من الزجاج مملوءة بالمسدسات المرصعة بالذهب والفرود والبنادق والظاهر انها هدايا أُهديت اليهِ وفي الطبقة السفلى مجموعة من المسدسات ولكنها غير مرصعة بالذهب بل هي للاستعمال . وفي احدى الغرف صدرتان صفيقتان قيل انهُ كان يلبسهما كالدرع لتقيهُ من الرصاص واحداهما مظهرة بالحرير لتقيهُ من الصواعق ايضًا . ودهان الابواب والكوى عتيق وفي احد البسط ثقب كبير والاثاث كثير متباين الاشكال

والالوان فترى في الغرفة الواحدة اثاثاً من نسق لويس السادس عشر واثاثاً بابانيًّا واثاثاً لا نسق لهُ وعلى كل حال لا تجد اثاثاً نسقهُ تركي . ولكثرة الاثاث من الخزائن والجوائد والاسرة ونحوها امتلأت بها الغرف والماشي حتى تحسب السراي مخزناً من مخازن الدلالين امتلأ باثاث اناس مديونين حجزت امتعتهم لتباع بالمزاد العمومي

الاَّ ان عبد الحميد لم يملأ ماشي السراي بالاثاث عبثاً بل اراد بذلك ان لا يبقى فيها مجال للذين يقصدون اغتياله ان يمروا فيها اثنين اثنين فاذا مروا واحداً واحداً تمكن من قتلهم قبل يتنبهوا لانهُ كان حسن الرماية كما يستدل من الاغراض المصنوعة في اشكال الانسان التي كان يمارس اطلاق الرصاص عليها بالمسدَّس فيصيب متمثلاً منها . وكان المسدس دائماً في جيبهِ وحيثما اقام وضعت المسدسات بحيث يسهل عليهِ تناولها حالاً حتى في حمامهِ . وقد وجد في هذا البناء من يلدز اكثر من الف مسدس

ووجد في خزائنهِ عدد لا يحصى من القمصان والجوارب والقبعات وما اشبه وعلى ظهور الخزائن رزم لم تفتح من هذه الثياب ووجد فيها الف صدرة جديدة وعدد كبير جدًّا من الساعات واكثرها من الانواع الاميركية المذهبة الرخيصة الثمن

وكان يضع اوراقهُ في خزانة من الحديد من اكبر نوع واجود نوع وهي موضوعة داخل جدار مكتبتهِ قريبة من غرفة منامهِ وباب الخزانة كبير جدًّا وفي داخلها خزانتان صغيرتان ودروج كثيرة وكلها من الحديد . والخزانة تدار من داخلها بالكهربائية وهي مثل غرفة من الحديد في احد البنوك الكبيرة

وكان اكثر ما في السراي هدايا اهديت اليهِ من الملوك والحكام وارباب المعامل . واكثر كتب المكتبة باللغة الالمانية وهي في الحرب والجيش الالماني وتاريخ الاتراك والجغرافية دلالة على ان طابعي الكتب الالمانية كانوا يهدون اليهِ من كتبهم اكثر مما يهدي اليهِ كل طابعي الكتب في غير المانيا من البلدان . وهناك بعض الكتب الانكليزية والفرنسوية الحديثة . وكتب مما تذكر فيها اسعار المصنوعات وقد تحسب من غيرها كأنها من نفائس الكتب

ومن اجمل الكتب وانفسها كتاب مهدى من قيصر روسيا عن تتويجهِ مملوء بالصور الكبيرة البديعة . والظاهر مما هو مكتوب عليهِ انهُ لم تطبع منهُ الاَّ نسخ قليلة اهديت الى الملوك ورؤساء الجمهوريات وكان موضوعاً على مائدة وحدهُ . ومن الهدايا النفيسة ايضاً صورة العائلة الامبراطورية الالمانية ضمن اطار مرصع بالحجارة الكريمة وهي هدية من الامبراطور الحالي الى عبد الحميد يوم عيد جلوسهِ الخامس والعشرين . وعلى مائدة ساعة مهداة من

قيصر روسيا مرصعة بالحجارة الكريمة . وصور فوتوغرافية كثيرة من صور الملوك والامراء الملكية ولكني لم أرَ هدية ما من ملك الانكليز ولا من رئيس جمهورية اميركا .

وفي الطبقة العليا غرفة نوم سلطانية فيها سرير كبير مثل اسرَّة الملوك في قصور اوربا لهُ قيمة عالية وعلى وسائده الشعار العثماني

وفي كل غرفة متعمد ليتام عليهِ حتى لا يدري احد في اي غرفة هو نائم فانهُ كان يدعو حراسهُ في المساء ويقول لهم شددوا المراقبة على هذه الغرفة لاني سأُنام فيها الليلة ثم ينام في غيرها

ولم أرَ من الصور غير صورة واحدة زيتية كأنها من تصوير اولاد المدارس قيل لي ان السلطان نفسهُ صورها وهي تمثل جماعة من القسوس في قايق ينقرون على الآلات الموسيقية والقايق مادٌّ يدهُ الى الشاطىء وفيها كيس من الدنانير وعلى الشاطىء نساء عاريات يرقصن ويقال ان وجه احد القسوس يشبه وجه مدحت باشا وان عبد الحميد اراد بهذه الصورة ان يمثل ما تصير اليهِ الاستانة اذا شاع فيها التمدُّن الاوربي .

وحديقة يلدز التي تضرب بها الامثال مساحتها عشرة افدنة وكان عبد الحميد يجلس فيها على كرسي مفصولٌ كهربائيًا وفيها كثير من الاشجار الكبيرة والصغيرة وخمائل الازهار وتزعة فيها قارب يسير بحجل يدار بالرجل . ويحيط بالحديقة سور عالٍ مغطًّى من الداخل بافقاص العصافير والوحوش البرية في بعضها قرود وكلاب نادرة . وكان عبد الحميد مغرمًا بالطيور ولا سيما الوديع منها كالحمام ويقال انهُ كان عندهُ عشرون الف صنف منهُ وكلها موضوعة في اقفاص كبيرة في كل قفص منها مئات من الحمام . وهناك الوف من البجع والكنار والبغاء . وفي الروض الخارجي حماران من نوع الزبرا واقفاص كبيرة يظهر انهُ كان فيها أسود ونمورة . واماكن لانواع الدجاج والديك وهو انقرة وهناك ايضًا كثير من الارانب وثلاث نعامات وكثير من الغزلان والاوز . والظاهر انهُ كان يحب الحيوانات ويحسن معاملتها والرجل الذي يفعل ذلك لا يكون خاليًا من الشفقة والحنان

وكان مع حبهِ للحيوانات يحب الموسيقى فلا تخلو غرفة من غرفهِ من آلة موسيقية وقد يكون في الغرفة الواحدة ثلاث من نوع البيانو . وكان عندهُ جوق موسيقي خاص دائمًا في الحديقة قهوةٌ فكان يدخلها كما يدخل عامة الناس الى القهاوي فيرحب بهِ القهوجي ثم يلتفت الى مكان صانع القهوة ويقول شكر لي بر (اي فنجان قهوة بسكر) تراجيله بر . فيشرب القهوة ويدخن التراجيلة ثم يدفع للقهوجي عشر بارات كأنهُ من عامة الناس مع ان نفقات القهوة واجور مستخدميها منهُ (وقيل لنا انهُ كان يجالس هناك العمال الذين يعملون في الحديقة كأنهُ واحد منهم

ويسقيهم القهوة على حسابهِ فميلهُ الى التلهي والتسلي على هذه الصورة من حسنات طبعهِ

ثم عاد المؤلف الى سياق حديثهِ فقال ان عبد الحميد اقام في المابين الصغير كل مدة ضرب الاستانة ومعهُ ابنهُ عبد الرحمن والظاهر انهُ غُلب بالوهم اكثر مما غُلب بالحقيقة فان شيخًا كرديًّا كان قد تنبأ لهُ انهُ لا يتسلط الاَّ ثلاثًا وثلاثين سنة وقد رقي سدة الملك سنة ١٨٧٦ لكنهُ لم يكاشف احدًا بما كان في نفسهِ من الخوف

قلنا ان الجنود المكدونية دخلت سراي بلدز والحال شرعت في اخراج مَن فيها من الرجال وتُرك مع السلطان كاتبان واربع من الخدم وأرسل اكثر نساء الحريم الى سراي جراغان ومنها الى السراي القديمة. وفي اليوم التالي افتى شيخ الاسلام بخلعهِ وأرسل خبر الفتوى اليهِ مع وفد من ثلاثة يوناني ويهودي وارمني وارسل وفد آخر الى رشاد افندي يخبرهُ بان الملك آل اليهِ

وقال الكاتب انهُ نقل خبر الوفد الذي أرسل الى عبد الحميد عن اعرف المصادر والظاهر انهُ نقلهُ عن واحد من اعضائهِ قال لما بلغ الوفد بلدز قابلهم جواد بك كاتب سر السلطان وسألهم عمَّا يريدون فقالوا انهم موفدون من قبل الجمعية العمومية ليبلغوا رسالتهم الى عبد الحميد بالذات فقال لهم جواد بك ان السلطان لا يخلو من السلاح وقد يقتلهم. قال قرصو افندي احد اعضاء الوفد انهُ اعتقد صحة ذلك فوضع يدهُ على مسدسهِ في جيبهِ كل مدة المقابلة

الاَّ انهم قالوا لجواد بك ان لا بدَّ لهم من مقابلة عبد الحميد وابلاغهِ ما امروا بابلاغهِ اياهُ. فسار بهم الى المابين الصغير وقرع الباب طويلاً قبل فتح واحاط بهم حينئذٍ ثلاثون من الاغوات (الخصيان) وأدخلوا الى غرفة الاستقبال امام الباب فوجدوا عبد الحميد جالسًا فيها على مقعد

وقال الكاتب انهُ دخل هذه الغرفة بعد خروج عبد الحميد منها وكانت لا تزال كما كانت لما قابلهُ الوفد فيها. امام بابها حاجز بابهاني من الحرير ووراءهُ المقعد الذي كان عبد الحميد جالسًا عليهِ وهو قديم عليهِ اربع مساند مربعة والى جانبهِ مائدة عليها مسند من سكاير من التنك وشمعدان فيهِ شمعة حُرق نصفها وامام المتعد على الجانب الآخر من الغرفة آلة موسيقية وبيانو ومزهريات صغيرة وفي وسط الغرفة مائدة صغيرة مستديرة عليها زجاجة فيها دواء احمر من نوع المبردات لان عبد الحميد كان يضع العقاقير الطبية في كل غرفهِ وكان في احدى زوايا الغرفة اطراف سكاير محروقة ونتف من الورق وفي زاوية اخرى كالوش. وفي الغرفة ايضًا خزائن فيها كتب لم نقرأ ولا قصَّ ورقها ويتدلَّى من سقفها اربع ثريات فضية

وفي آخرها موقد كبير من الخزف الابيض المدهون تعلوه مدخنة من الحديد الاسود الرخيص الثمن . وفيها كثير من الساعات واحدة منها مصنوعة من عرق اللؤلؤ واخرى مصنوعة في شكل مسجد وفيها اربع كراسي كبيرة من ذوات الساعد ومرايا كثيرة الى جوانب الجدران . وكان عبد الحميد يكثر من المرايا في غرفه حتى يرى من يفاجئه من ورائه

وكان لما اتاه الوفد لابساً سترة سوداء ملكية وفوقها رداء عسكري مزرَّر وابنه عبد الرحمن كان جالساً الى جانبه بحلة السراي ويداه على صدره تأدُّباً . فدخل رجال الوفد الى داخل الغرفة و بقي غالب بك وجواد بك كاتبا السلطان والاغوات قرب الباب فنهض عبد الحميد لاستقبالهم وقال لهم لماذا اتيتم . وكان الهم قد اخذ منه كل مأخذ فسلَّم اسعد باشا السلام العسكري وتقدَّم خطوتين وقال

اسعد باشا — ان الامة قد خلعتك بناء على فتوى شيخ الاسلام وقد اخذت الجمعية العمومية على نفسها حفظك وحفظ آل بيتك فلا خوف عليك من احد فكن واثقاً بذلك

عبد الحميد — لا ذنب لي ولكنها قسمة هل حياتي في امن (قال ذلك والدموع ملء عينيه)

اسعد باشا — العثمانيون شرفاء كرماء لا يغدرون احداً

عبد الحميد — اقسم لي تأكيداً لما تقول لاني اخاف ان تغيروا ما وعدتم به اقسم لي انت شخصياً انكم لا ترجعون عما قلتم

اسعد باشا — اكرر لك ما قلته وهو ان العثمانيين شرفاء لا يغدرون احداً . وقد ضمنت الجمعية العمومية لك حياتك فلا تقلق

عبد الحميد — ألا تدعوني ابقى هنا . اود ان تعيدوا لي سراياي جراغان حيث وضعت اخي وليخرج منها صلاح الدين افندي وكمال الدين باشا لان شرائعنا من حيث الحريم لا تسمح ببقائهما هناك هذا فضلاً عن ان عائلتي كبيرة لا تكاد تلك السراي تسعها وانا مستعد ان اتهيأ للانتقال حالاً

اسعد باشا — سنبلغ طلبك الى الجمعية العمومية وهي تخبرك بما يقرُّ عليه قرارها واود ان تجيب طلبك

عبد الحميد — لقد فزت في حرب اليونان ويشهد التاريخ اني عملت اعمالاً كثيرة لخير شعبي ولا ذنب لي مطلقاً

اسعد باشا — يستحيل ان يعاقب احد في عهد الدستور وهو غير مذنب . ولا يحكم على احد الاَّ بعد التحقيق الدقيق

ودامت هذه المقابلة بضع دقائق على اهميتها مثل كثير من الحوادث التاريخية المهمة . وآخر صوت سمعهُ الوفد وهو خارج صوت بكاء عبد الرحمن افندي ابن السلطان . فانتهى امر عبد الحميد بحكم الشريعة التي امتعان بها على الغاء الدستور ستأتي البقية

ستد واقوال العظماء فيهِ

جاءتنا مجلة المجلات الانكليزية وفيها اقوال بعض عظماء الانكليز في فقيدهم فقيد الحرية والفضيلة المستر ستد مصدِّرة بمقالة التيمس التي اقتطفنا اكثرها في الشهر الماضي ونتلوها اقوال جماعة من المشاهير الذين كانوا يعرفونهُ حق المعرفة وهم لورد ملنر الذي كان وكيل المالية المصرية ثم صار حاكم جنوبي افريقية وكان في شبابهِ مساعداً لستد في تحرير جريدة البال مال . ولورد اشر من اعضاء لجنة الدفاع الامبراطوري ولورد غراي الذي كان حاكم كندا العام ولورد فشر اميرال البحرية الانكليز والسر في ستروتغ محافظ لندن السابق والمستر كارنجي المثري الشهير وغيرهم من العظماء فاقتطفنا منها ما يلي

قال لورد ملنر مخاطباً ابن المستر ستد — لا جريدة في ما اعلم كان لها من الشأن في المسائل الدولية كما كان لجريدة البال مال في السنة الاولى التي تولى والدك تحريرها . والفضل في ذلك لهُ وحدهُ اما انا فكنت مساعداً لهُ بالاسم ولم يكن لي اقل شأن في سياسة الجريدة وآرائها لانهُ لا قوة في الارض كانت تمنع اباك من ان يتولى كل عمل بنفسهِ ويدير كل شيء بيدهِ وقد كنت معهُ على تمام الوفاق ولكن لم يكن شأننا مع الغير كذلك لان الخطة التي سار فيها اقامت علينا الخصوم من كل ناحية . ولم تبالِ لاننا كنا كلانا في مقتبل الشباب متقدين غيرة على بلادنا وامتنا نتوخى ان تجعل الحكومة تطرح سياسة المطل والتسويف وتقوم بما يطلب منها من اصلاح شؤون الجمهور بالهمة والنشاط وكنا متفقين في المقاصد والاغراض ولو اختلفنا كثيراً في الوسائل المؤدية اليها . وكان ابوك يقول — اني من اهل النظر فلا اصلح للصحافة ولكنني لازم لهُ لابقيهُ ضمن حدود الاعتدال . وكان يذاكرني في كل امر ولكنهُ لم يفعل برأيي قط وكل ما كنت استطيع فعلهُ احياناً ولو تحت خطر فصم عرى الصداقة بيننا حذفُ كلمة تجاوزت الحد في الغلو